مكتبة المقتطف

كتاب في اليزيدية

Drower (E. S.) , Peacock Angel : Being Some Accounts of Votaries of A Secret Cult and Their Sanctuaries. (London, John Murray, 1941; IX + 214 p.)

اليزيدية فرقة دينية صغيرة ، يبلغ اتباعها اليوم زهاء الثلاثين الف نسمة ، تقطن في بعض قرى الموصل وسنجار وحلب وديار بكر ووان وفي انحاء من القفقاس وغيرها

وقد لفتت غرابة معتقداتها أنظار الكتبة والسياح اليها منذ مائتي سنة ، فراحوا يدونون عنها الكتب والرسائل والبذ وعندنا ان ما كتبوه في هذه الفئة لا يعدو على كثرته أحد أمرين . الاول : البحث عن منشأ عقيدتهم والكشف عن ماضي تاريخهم . الثاني : وصف معتقداتهم كما تعرف في الوقت الحاضر ، ودرس احوالهم الاجتماعية الراهنة ومعرفة مواطنهم

والكتاب الذي نتكلم عليه هو من هذا الصنف الثاني . ومؤلفته كاتبة إنكليزية هي الليدي دراور E. S. Drower التي عرفت مؤلفاتها الشرقية المختلفة ، كرحلتها في العراق The Mandaeans وكتابها في المندائية اي الصابئة By Tigris and Euphrates, 1923 وكتابها في الحكايات العامية العراقية Folk — Tales of Iraq and Iran, 1937 وكتابها Iraq, 1931 وها هي ذي تتحفنا اليوم بكتابها في اليزيدية . وقد رأت حين عزمت على تأليفه أن تكون قريبة من هؤلاء اليزيدية ، فشدت الرحال ، في ربيع سنة ١٩٤٠ الى بعض مواطنهم العراقية ، وقضت شهراً بين ظهرانيهم ، أمضت شطره الأول في قرية « باعشيقا » وشطره الآخر في « مرقد الشيخ عدي » وكلا الموقعين في شمالي لواء الموصل . واتصلت خلال ذلك بطبقات هؤلاء القوم ، وعاد تنسم في شؤونهم الدينية والاجتماعية ، وزارت مراقدهم المقدسة هناك ، وحضرت بعض حفلاتهم

في هذا السفر وصف رائع بما وقفت عليه المؤلفة بنفسها أثناء إقامتها المذكورة بين اليزيدية وقد عمدت أن لا تأتي بشيء منقول عمن سبقها من الباحثين ، فساقت الحديث كما أوحت به اليها رحلتها . فالكتاب يصور لنا الانطباعات الحسنة والتذكارات الجميلة التي

سجّلتها براعة المؤلفة ، يوماً بعد يوم . وجديرة بالذكر ، تلك الصور المتعددة الأنيقة ، التي ازدان بها الكتاب ، وبعضها فريدٌ في بابه لا يُرى في أيّ كتاب آخر

صرّحت المؤلفة (ص ٧) بأنّ الغرض من كتابها ليس البحث في عقائد اليزيدية ، بل الوقوف على طراز حياتهم اليومية كما شاهدتها بذاتها ، وأشارت في غير موضع (ص ٣٦ و ٩٦) إلى أن الباعث الوحيد لها على زيارة باعشيقا هو أن ترى رأيَ العيان ، حفلات اليزيدية في عيدهم الربيعي ، وتتقصّى بوجهٍ خاصّ أحوال المرأة اليزيدية ؛ وتكتسب من العلم بأحوالهم ما قد يساق اليها عفواً . ومن ثمّة ، لن تجد في هذا الكتاب ما يفيد المؤرّخ بقدر ما يفيد العالم الاجتماعي

ولمّا كان جلّ اعتماد المؤلفة في ما سطّرته يستند الى ما نقلتهُ عن أفواه الناس ، لا عجب إذاً أن حصل فيهِ بعض شوائب لم تبخس من قدره . ومما يحسن اعادة النظر فيهِ قولها (ص ١١) إنّ باعشيقا تقع في منتهى سفح جبل حمرين ، والأصحّ انها في سفح جبل باعشيقا المسمّى باسمها ، وشتّان ما بين الجبلين

وكذلك قولها (ص ٣١) نقلاً عن اليزيدية : إنّ خُضْر إلياس هو إيليا النبيّ ، والحقيقة هي أنّ اليزيدية يقصدون بالخُضر « بهنام » صاحب « دير مار بهنام » في جنوب شرقي الموصل ، المعروف في بعض المراجع العربية القديمة باسم « دَيْر الجُبّ »

وكذلك وهمت الكاتبة (ص ٦٥) في تسميتها ابن العبري بـ « المالطيّ » of Malta والصواب « المَلَطِيّ » نسبة الى مَلَطْية Malatiyah

وقد استغربنا قولها (ص ٦٦) ان كنيسة السيّدة في دير متّى ، مقامة باسم مريم زوجة مارشموني (كذا) التي استشهدت هي وزوجها وأولادها السبعة على يد الملك أنطيوخس ؛ ثم عدّها شموني قديساً (كذا) وان له كنيسة باسمه في قرية قره قوش قرب الموصل . فهل يكون قد التبس عليها الامر ، فجعلت من شموني المرأة الشهيدة رجلاً قديساً ؟ !

ومما توهمته قولها (ص ١٣٨) ان « الشيخان » و « عين سفني » اسمان لبلدة واحدة والصواب ان عين سفني بليدة ، أما الشيخان فمنطقة (قضاء) مركزها الاداري عين سفني

واعتبرت (ص ١٥٠) وفاة الشيخ عدي بن مسافر الهكاري نحو سنة ١١٦٣ م ، وفي هذا بعض التساهل ؛ فقد ذكر ابن خلكان (وفيات الاعيان ١ : ٤٤٨ بولاق) انه توفي سنة ٥٥٥ او ٥٥٧ هـ ، وهذا يقابل سنة ١١٦٠ أو ١١٦١ م . وفي الكتاب ، الى جانب اللغتات الأدبية الرائعة ، أمور اعتيادية لا طائل تحتها تناثرت في كثير من صحائفه . وقد يكون وجه العذر من ايرادها فيه ، انه اقرب الى حديث رحلة منه الى كتاب علمي محض

وقد خصت المؤلفة جانباً غير قليل من الكتاب ، بوصف طلبات وشؤون قد يظن القارىء للوهلة الاولى انها خاصة باليزيدية دون سواهم . وهو اذا تدبرها مليًّا ، وجد معظمها مألوفاً بين كثير من سكنة شمالي العراق ، سواء أكانوا يزيدية أم لم يكونوا

وفي الكتاب ألفاظ دخيلة متعددة ، وردت دون الاشارة إلى اللغة التي تسربت منها وبين تلك الالفاظ ما هو كردي او تركي أو فارسي او إرمي . وفي التنبيه الى مواردها فائدة كبيرة في مثل هذا المقام . ومن تلك الالفاظ : سريعسال ، استيكان ، كوچك ، سفسيلة ، كوپال ، دخرانا ، كاولي ، صنجق ، دوله ، جابانا ، وغيرها . . .

ومهما يكن من امر ، فالكتاب الذي بين أيدينا يلقي ضوءًا براقاً على أحوال هذه الفرقة التي اكتنفها الغموض والكتمان من كل جانب ، وتضاربت أقوال المؤلفين فيها . وهو الى جانب ذلك كله قطعة أدبية تستحق المؤلفة عليها الاطراء والثناء العاطر

بغداد كوركيس عوّاد

مذبح المريخ

لفؤاد صروف — ١٥٥ صفحة من القطع الصغير — نشرته مطبعة المعارف — في سلسلة « اقرأ »

يسود العالم في العصر الحاضر شيء غير قليل من الاضطراب والحيرة ، وقد رانت عليه الآراء الخاطئة ، مما زاد مشكلاته العسيرة تعقيداً وتداخلاً ، ومَن يعنينا في ظلام هذا الليل المدلهم والفوضى المضللة على ان لتبيين صور الاشياء وتتعرُّف معالم الطريق ، بعض واجب انساني جليل ويبذل مجهوداً جديراً بالتقدير . وفي اعتقادي ان الاستاذ فؤاد صرُّوف قد استطاع في كتابه الجديد — الكثير الدسامة على صغر حجمه — ان يكون دليلاً بصيراً ومرشداً حكيماً ، وقد يسر له الاضطلاع بهذا العبء صفتان يقل اجتماعهما ، فهو من ناحية مثقف ثقافة علمية مكينة تيسر له أن يرى الأشياء على حقيقتها غير مشوبة بالأوهام ، وهو من ناحية أخرى كاتب يحسن الاداء ويجيد العرض ويعرف كيف يحمل قارئه على الاصغاء اليه والاسترسال مع تفكيره . وانك لتقع في كتابه على آراء تعرف نظائرها في كتابات لاسكي وولز ومادرياجا ودليل برز وغيرهم من كبار المفكرين المعاصرين الذين يتكوَّن من مجموع آرائهم الوضع الحديث للفكرة الدمقراطية — وقد أبى له اخلاصهُ العلمي أن يغفل الاشارة الى ذلك في ذيل كتابه — ولكنه استطاع أن يطبع أفكارهم بطابعه وينفخ فيها من روحه ويقربها الى عقولنا ويحببها الى نفوسنا وأخص وظيفة الكاتب هو التعبير عن الفكرة وترويجها لا خلقها من العدم . وهذا هو الابتكار في معناه الصحيح . وأشد ما يجعل هذا الكتاب محققاً للغرض المقصود من هذه السلسلة الثقافية النفيسة اعانة تقسيمه واستقامة تفكيره

ومقدرة مؤلفه على النفاذ الى حقائق الموقف الحاضر واستخلاص العبرة من حوادث الماضي القريب . وهذه القدرة من ألزم ما يلزم في هذه الايام ، وهو يوضح لنا الاهداف الحقيقية الكامنة وراء تواتر الزعامات وملتطم التيارات فيعقد المقارنات التاريخية الموحية ويكشف حقيقة الآراء التي ترمي الى قمع الحريات واستغلال الامم وابتزاز ثرواتها والارتداد بالعالم الى الوراء وبين الحاجة الماسة والضرورة الملحة التي تجعل بقاء الحضارة رهناً بتوطيد نظام يدعم سلطان القانون الدولي ويقرب مسافة الخلاف بين الامم ويقيم العلاقات بينها على أساس التعاون والقضاء لا التنافس ومحاولة الاكتفاء الذاتي . وهو يصارحنا بأن الامر ليس هيناً وان الطريق ليس فريشاً ولا مفروشاً بالورد والرياحين وهو يبين في أسلوب واضح التناقض العجيب بين المجتمع الانساني الحديث الذي توثقت فيه الروابط بين الامم بفعل العلم والصناعة وتبادل الثقافة وبين فكرة القومية الضيقة والعقيدة العنصرية البغيضة ، ويقف موقفاً وسطاً بين المتشائمين والمتفائلين فهو لا يتشاءم ولكنه لا يسرف في التفاؤل لان الخلاص من الازمات الحاضرة وقف في نظره على مدى قدرتنا على كبح جماح الاهواء العادية والغرائز الجارمة واخضاعها لسلطان العقل ويسترعي نظرنا الى ضرورة اقتران الفكر بالعمل لأن العالم في الموقف الحاضر أصبح لا يحتمل تمتع المتفرجين ولا تدلل أصحاب الابراج العاجية فمعسكرات الاعتقال خليقة بأن تعترض أحلامهم الجميلة وقاذفات القنابل جديرة بنسف أبراجهم العاجية وارغامهم على اللواذ بالمخابىء حيث لا ترفع ولا شموخ ، ويرى بعض المفكرين ان وثوب الفاشية والنازية على الحضارة هو أعراض مرض داخلي لا طباب لدائه ولا أمل في شفائه ولكن المتفائلين يقولون انها اضطرابات موقوتة لا تلبث أن تزول وتنجاب شدتها ومتى تم الانتصار على الفاشية والنازية تمهد الطريق الى الوحدة العالمية والتعاون الانساني وخمدت أصوات الطغاة الذين ساقوا العالم الى حافة الهلاك وأشرفوا بالحضارة على السقوط والدمار . ويقر المؤلف هذا الامل ولكن في تحفظ واحتياط فهو يقول في ختام كتابه « اذا كانت عين السلام المسلح في الفترة التي سبقت نشوب هذه الحرب ، وعين هذه الحرب في جميع مراحلها ، قد أقنعت الشعوب وقادتها بأن سلامة كل دولة جزء لا ينفصل عن سلامة كل دولة أخرى ، وبأن رخاء كل دولة جزء من رخاء الدول جميعاً ، وبأن لا خيار بين الوحدة والفوضى ، ولا حالة متوسطة بين الوحدة بالتعاون والوحدة بالتحكيم فقد يكون في هذا الادراك منجى للانسانية من الانسياق ثانية الى مذبح المريخ » وهو أمل نشارك الاستاذ فيه ونقره عليه ، وخلاصة القول ان الاستاذ فؤاد قال في هذا الكتاب أشياء كثيرة كلها جديرة بالتروية وامعام النظر ، ومن حق كتابه علينا نحن القراء الشرقيين أن نتدبره ونعي ما تضمنه

علي أدهم

روح التربية والتعليم[1]

يبدو لمن يقرأ عنوان هذا السفر النفيس قبل تصفحه انهُ كتب للمعلمين والمشتغلين بالتربية دون سواهم . بيد ان الواقع انهُ بحث مبسّط جمع بين دفتيه مبادىء اجتماعية وفلسفية ونفسية وتعليمية بغير تعرُّض لعبارات فنية تستعصي على القارىء ، او تقف ، عقبة في سبيل من لا عهد له بالاجتماع والفلسفة وعلم النفس والتربية . فهو في جملته ليس أقلَّ نفعاً للتاجر والصانع والموظف والطبيب والمهندس ، والآباء والامهات منهُ للمعلمين ومن يمت الى دور العلم بصلة . ولعلَّ احسن ما في الكتاب من مبادىء علمي النفس والتربية ، انه يفتح اذهان الوالدين ويوجه انظارهم الى ما ينبغي العناية به في المنزل والمدرسة فيما يتعلق بتربية ابنائهم وبناتهم . ومن الغريب ان الكثيرين من أصحاب السيارات يقبلون على دراسة اجزائها بشغف وحماسة ، حتى لا تكون سياراتهم تحت رحمة العتاع الذين يتولون اصلاحها وتشحيمها والعناية بها ، في حين ان « الهواة » من الآباء والامهات قلما يفكرون في دراسة المبادىء التي عليها يتوقف تنشئة اولادهم وفلذات اكبادهم . فكأنَّ السيارة في نظر هؤلاء اكثر تعقداً واشدّ حاجة الى العناية والدرس منها بالصبيّ او البنت ، وكأنهم يجهلون ان الطفل على الاقل كالسيارة قد يودع في أيدٍ لا تحسن تربيته

والكتاب وان كان أكثر نفعاً لحديثي العهد بالتعليم ومعلمي المدارس الاولية والابتدائية فاني أعتقد ان المعلمين في جميع مراحل الدراسة حتى العالية منها في حاجة الى الكثير من الدرس والمزاجعة ولا تقول الايقاظ . فالكثير منهم تصدأ معلوماته على مر السنوات ، فينسى أبسط قواعد التربية وعلم النفس التي تلقاها في مدارس المعلمين فضلاً عن اهماله ما جدّ منها بعد ذلك

وان كان في الكتاب عيوب جديرة بالذكر فاننا نشير أولاً الى مقالات لبعض الكتاب أثبتها برمتها وكان يمكن الاستغناء عنها . وثانياً الى موضوعات عامة لا جديد فيها ولا يحتاج فيها المعلم أو غيره من القراء الى تذكير . على ان هذا لا يعد شيئاً بجانب ما بذل من مجهود من تأليف وتبويب واثبات فهارس أبجدية وآخر للموضوعات في أكثر من ٤٠٠ صفحة في زمن بلغت فيه أثمان الورق والطباعة ما لا تصدقه العقول . فهنيء المؤلف ونرجو لكتابه ما يستحقه من الرواج والانتشار

---

(١) تأليف الاستاذ محمد عطية الابراشي . وقد نشرنا في مقتطف مارس الماضي مقدمة هذا الكتاب وهذا رأي مرب خبير فيه

اوراق

السيد منير المجلاني — طبع بمطبعة القبس — يقع في ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط

رأيت هذا الكتاب على مكتب رئيس تحرير المقتطف يبدو في ورق صقيل وغلاف أنيق، فأخذته ونثرت بعض اوراقه على عجل، فرأيت شيئاً يجذبني الى قراءتها وأحسست معنى في نفسي يدفعني الى المضي في تقليبها. ولاحظت في أسلوب الكتاب نوعاً من القوة، ولمست فيه مسحة من الحرارة، كأن كل كلمة منه هي نبضة حس وخفقة قلب وفورة دم . . .

وأحسست في تعبير الكتاب نوعاً من الموسيقى التي ترق كأنها همس النسيم وتشتد كأنها عصف الريح. وتذوقت في تراكيبه بناء عربياً صحيحاً لم تفسده عجمة مستعجم. ولا لكنة عربي مستغرب. ورأيت فيه — على عجل ايضاً — نظرات حادة في النقد الأدبي تنم عن البصيرة الدقيقة والطبع الاصيل

وكفى محرر المقتطف الكتابة عن هذا الكتاب. وقيدني بالأسطر ورسم لي حدود المقدار، وهو الذي لم يعودنا جميعاً شحاً في الكتابة ولا بخلاً في العرض ولا تضييقاً في الحدود . . ولكنها الحرب — وأثرها في موارد الورق — ضيقت على كل شيء حتى ثمرات العقل ونتاج الفكر

هذه « الاوراق » ليست من شجرة واحدة، ولكن فيها مزية الورق الحي الدائم الخضرة، وهي جميعاً على اختلافها يؤلف بينها شيء واحد هو الشعور القوي والاحساس الدقيق والحرارة المتأججة؛ وعجيب أن يسميها المؤلف أوراقاً وفيها لفحات من اللهيب . . . في الكتاب دراسات نقدية تظهر فيها ثقافة المؤلف الواسعة، فهو حيثما قراءة في اللغتين العربية والفرنسية، وهو يحتجز من طرائف ما يقرأ صوراً فاتنة يطرز بها كتابته العربية وهذه الدراسات هي ادخل ما في الكتاب في باب الادب المحض، ولو أفصف المؤلف لافرد لها كتاباً مستقلاً بدلاً من ان تطغى عليها من أبواب الكتاب خطب السياسة ومقالات الاجتماع وكلمات الاصلاح ولكن للمؤلف عذره . . فقد ألحّ عليه أصدقاؤه — وهو وزير — ان يكتب ويبقى على صلته بالادب فما استجاب لهم ولا كتب . فراحوا يجمعون قديم كتاباته ويؤلفون منها كتاب الاوراق

وعجب الذين جمعوا هذه الأوراق المتناثرة لوزير الشئون الاجتماعية الدورية أنهم أرادوا ان يعرضوا منه أديباً وخطيباً واجتماعياً وقصصياً وناقداً ومحامياً وصحفياً في كتاب واحد . . ولو اكتفوا بعرض السيد منير المجلاني في ناحية واحدة من هذه الناحية المتعددة لكان في ذلك خير كثير. وقد عجلوا في اخراج الكتاب فلم يسلم من كثير من هنوات الطبع

تشيع في الكتاب روح من وميض متألق ينم على ذكاء صاحبه، كما تسري في خلال

الحديث دعايات تفيد الطبع المكدود بالجد ، الا قصة «اليفوع» فهي سلسلة من البؤس والفقر والخيانة والغدر والعبث والسكر ، والقتل والانتحار والجنون ... وهل بعد ذلك من مزيد ؟

لقد جذبت الوزارة اليها السيد منير العجلاني فصرفته عن الادب كما يصرف معاليه في مقدمة اوراقه ، ولكننا حين نرجوه التوفيق في ميدان السياسة، نرجو منهُ ان يعدَّ دوحة الادب بما به تبسق أغصانها

محمد عبد الغني حسن

لا هوادة

١٢٦ صفحة من القطع الوسط — من منشورات الادب — طبع بمطابع دار الاحد بيروت

عرفت الاستاذ عمر فاخوري — مؤلف هذا الكتاب — من خلال كتابه الأول « الباب المرصود » ناقداً بعيد النظر يتحرى الجمال والفن فيما يجعله ميداناً لقلمه وبيانه ، يتطلع من وراء بوجه . وقد أغلق بابه على نفسه ، الى سر الجمال مستعرضاً شتى صوره وألوانه ، وهو في استعراضه ونقده انما ينشد الكمال ويتسامى في نشدانه . وان أديباً ناقداً من هذا النوع لأدق إحساساً بمعاني الجمال ، وأشد حرصاً على هذه المعاني أن يطمسها بهتان او يلاشيها ضباب ، وأكثر افتتاناً بالسلام الذي تزدهر فيه معالم الجمال

لهذا لم يكن عجباً من الاستاذ فاخوري ان يجعل من قلمه الهادىء الوديع سيفاً مرهف الحد يحاول به قوة البطش الغشوم ، وموجة الطغيان الاثيم التي ألقت بالعالم في جحيم الحروب ودفعت به الى هوة الدمار والخراب ، ولم يكن أول أديب دفعتهُ فكرة المحبة والسلام التي تنطوي جوانح الدمقراطية عليها الى تجريد قلمهِ للدفاع عن هذه الفكرة . فكل أديب مرهف الحس فياض الشعور لا تستهويه القوة الفاجرة بمثل ما تستهويه الوداعة الطاهرة

ولقد كان كتابه الجديد «لا هوادة» قرباناً للفكرة التي استهوتهُ فدافع عنها وهو يرد على المستعربين اندفاعهُ في تيار السياسة قائلاً : « ما العمل اذا كان لنا رأي في كيف يجب ان تساس الافراد والجماعات ، وكان لنا نظر في المبادىء التي ينبغي ان توطد ، ونقاً لها ، علاقات بعضهم ببعض ، فنحن لا نجد بدًّا من تحبيذ ذلك الاسلوب في الحكم ومن الانتصار لتلك المبادىء في السياسة ؟ ما العمل اذا كان ثمة مثل أعلى لحياة الافراد والجماعات يدعون كلما قطعوا شوطاً نحو تحقيقهِ بأكثر ما يمكن من الخير والصلاح والطمأنينة ، وقد استهوانا هذا المثل الأعلى وشغف قلوبنا فنحن راضون ان نترسم خطى القافلة المباركة الهادية التي تقود البشرية الى ذلك الهدف الأسمى منذ فجر التاريخ ، قافلة الرسل والحكماء المصلحين ؟ »

ان كتاب فاخوري هو صرخة الأدب في وجه الطغيان ، وانهُ لهتاف القافلة السائرة في طريق السلام والنور يبعث للتنبيه حتى تنطلق بعد ذلك أغاريد الطمأنينة وأهازيج المحبة والخير

حسن كامل الصيرفي